مستقبل مصر

بين ملك داود ؛ وأمبراطورية قيصر

كتب الاستاذ « عمر عنايت » فى العدد الفائت ، من « العصور » عن المدنية اليهودية المستقبلة . وكان مما عرض له ، فى هذا الموضوع تأثر مصر بهذه المدنية ، عن طريق مجاورتها الاكيدة لمستقرها المركزى بعد الحرب العظمى ، وقد أنشأته جهود الصهيونية المنظمة ، وما يسعدها من مجاراة التيارات السياسية لها .

وإذ كان كاتب هذه السطور ، قد دعته طائفة من المناسبات القوية إلى طرق هذا الموضوع أثناء اشتغاله الطويل بالصحافة . وإذ كان مما حز فى نفسه ، أن يرى الالتفات إلى خطورته ضائعاً فى غمار الجدل الجارى حول الحوادث اليومية ، على تفاهة الكثير منها ، فانه ليسره اليوم أعظم السرور أن يرى « العصور » تفتح صدرها ، لمن يعالجه بتلك البراعة ، وبعد النظر اللذين عالجه بهما الاستاذ « عنايت » . ويرجو أن يسمح لنفسه بأن يعلن أن عامل المجاورة يأخذ مصر من ثلاثة الاقطار المحيطة بها وليس من فلسطين وحدها

بيد أنه لما كانت المسألة السودانية خاضعة للعمل السياسى . وبعبارة أدق واقعة تحت تحفظة من التحفظات البريطانية التى لم يتناولها الحل .. فأنا سنستبعد الكلام عن تأثر « القاهرة » « بالخرطوم » — إن صح هذا التعبير — لاسيما أنا ممن يرون أنه مهما يكن من عنف التيارات السياسية الرامية الى فصل الجنوب عن الشمال ، فان السودان لا يمكن أن يخلص من اعتبار أنه المهجر الطبيعى للذرارى المصرية المتكاثرة .

وإذن فالأمر ينحصر فى التأثر المصرى بالمثل الصهيونى فى فلسطين من ناحية الشرق ، وبالمثل الرومانى فى طرابلس من ناحية الغرب . ولقد قدر لنا أن نرى رغم الصفة البدائية لهذين المثلين ، كيف تمكنا فى خلال مدة وجيزة من الاعراب عن سطوتهما على وادى النيل : فتقدمت « برقة » صوب الشرق ، وانتزعت (جغبوب) كعبة الصحراء . ولم تقدم الصهيونية أقدام الفاشستية فعلياً ، ولكنها وجدت أثناء من طراز المستر « ودجوود » العضو بمجلس العموم البريطانى يقترحون على مصر

أن تنزل لفلسطين عن شبه جزيرة طور سينا ، وزعيا مثل المستر « ويزمان » يشير فى غضون خطبة له الى أن أمام الصهيونية مساحات أخرى فى الجنوب الغربى تكفى لاعاشة مئات من الالوف . . وراحت بعد ذلك كله . توقد أساتيذها وأحبارها الى الطور ليقوموا بتنقيبات عن التركة الموسوية هناك حيث كان النبع والسلوى وحيث يقال ان بعض المهندسين اليهود تمكنوا فى خلال الحرب العظمى — إذ كانوا مع الحملة المصرية التى تهرت الصحراء — من استكشاف أن الجديد فى سيناء ليس إلا أكذوبة قارحه ، وأنه توجد تحت الطبقة الرملية بحار المياه ، ومنابع للخصوبة وأن الرى كان فى الحقيقة تحت أقدام الجيش البريطانى ، ولكنه لم يفطن اليه إلا فى وقت متأخر !

ينحصر الامر فى التأثر من هاتين الناحيتين . ولئن كان يبدو أن من الناحية الفلسطينية أعظم نظراً لما تتصف به فلسطين من الصلاحيات الصناعية ، والزراعية والجغرافية ، ولما نسمع به من بداية استغلال هذه الصلاحيات على مئات الواسع النطاق . فثمة مشروع « روتنبرج » الكهربائى العظيم ، ومشروع البحر الميت الكيمائى الزاخر ومشروع مياه حيفا ، واحتمال انشاء قناة جديدة تقرب قناة السويس بين البحر الابيض المتوسط وخليج العقبة فانه ينبغى ألا نستخف بالجهود التى يبذلها الايطاليون فى طرابلس وبرقة لاعادة المستعمرات الرومانيه فى ليبيا . وحسبنا للاقناع بأهميتها ان نرى كيف يصارعون القفر الاعظم بوسائل العلم الحديثة ويستنبطون المياه ، ويستصلحون الاراضى الرملية للزراعة ، ويمدون الطرق الحديدية ، ويستزيدون من المناطق الخصبة فى القطاع الغربى بمفاوضة فرنسا فى النزول لهم عن الفيزان . ويوعزون لبعض الشركات فى السعى لدى الحكومه المصريه بغية أعطائها امتيازا بتعمير مربوط المتاخمة لبرقه . وقد أقاموا بالجملة معارض فى طرابلس وأنشأوا دراسات صحراويه واختص من علمائهم أفراد بالشئون الليبية اختصاصا تبدى فى كثير من المناسبات حتى لم يحجم « بيرينوا » فى روايته (الاطلاطيد) عن أن يسلك فى عداد ضحايا (أتيتا) أحد الرحاله الايطاليين !

واذا كان ينقص المثل الرومانى الفاشيستى الذى يحف بمصر من الناحية الغربية استناده الى مقومات صناعيه وزراعيه وجغرافيه لها مثل الخطورة التى لنظيرتها فى

فلسطين فانه يتخذ من هذا النقص باباً الى المبالغة والتوسع واصطناع الاسباب المتعددة للقوة والنفوذ .

ومن يتابع المنطق الاستعماري في مناسباته المختلفه بروما وبني غازي وطرابلس ويستمع الى خطب « الدوتشه » وعماله في شمال أفريقية يستيقن أن الحلم الروماني يقود القوم بعصاه السحريه ، ويرفع أمام أخيلتهم أمبراطورية قيصر وخلفائه الذين كان لهم على مصر سلطان أي سلطان !

* * *

وليس من قصدي أمنع التأثير الآتي مما وراء ليبيا بجانب التأثير المقبل مما وراء سيناء بأن اقلل من أهمية هذا الاخير فأني — مع الاستاذ عنايت — أرى أنه سيضع مصر أمام امتحان دقيق وأنما جل ما ارمي إليه هو أن أرضي الرغبة في الاحاطة فالتفت بعد النظر الى المشرق — الى حيث يجري النشاط الفاشستي خلف حدودنا الغربية

ولقد يكون من مزايا هذا الالتفات أنه يوحي الينا بالتفكير فيما اذا كانت مصر المستقبله ستؤخذ بالمدنية اليهودية أم بالمدنية الرومانية

ومما يعين على هذا التفكير تلك الاشاعات التي تتردد الفينة بعد الفينة عن احتلال أعطاء أيطاليا امتدادا في منطقة الليفانت . فان وجود إيطاليا في سوريا أو على مقربة منها معناه أن حلم هرتزل بأرض الميعاد سيصطدم مع حلم الدوتشه بامبراطورية قيصر

بل أن الذين يتتبعون الحالة بدقة يلاحظون من الآن وجود نوع من الاصطدام بين الفاشستيه والصهيونية . وقد عزى الى بعض فناصل ايطاليا في القدس أنهم لا يكلفون انفسهم مؤونة الضرب على ميولهم المضادة للصهيونيين ، ونجمت عن ذلك في وقت من الاوقات بعض الصعوبات الدبلوماسيه ، بين روما ولندن !

* * *

ومهما يكن من نتائج الموازنه بين المثلين الاسرائيلي السامي والفاشيستي اللاتيني ، فان من الحق على مصر أن تعد لمستقبلها بأزائهما العدة ، وان تعرف وأنها بدون الثقافة الاقتصادية الحقة ستدخل ضدهما في معركة خاسره ! ؟

عبد الحكيم عبد الله الجهني ،